المعجم المصوّر ومنزلته في الصناعة المعجمية الحديثة
- قراءة في الخصائص والمبادئ-

الدكتور: حاج هنّي محمد
جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف

تاريخ الاستلام: 2019/02/01 تاريخ القبول:2019/02/21

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالمعجم المصور، وتحديد مكانته في الصناعة المعجمية الحديثة، مع توضيح أبرز مميزاته، ومجمل ضوابط بنائه، انطلاقا من تعريف هذا النمط المعجمي الحديث، والإشارة إلى تاريخ ظهوره، مع التفريق بينه وبين المعجم الذي يوظف الصور في شرح مداخله، والتعريف بمختلف نماذجه، وبعدها تم التطرق لأهم الوظائف التي يؤديها هذا المعجم، لنخلص في النهاية إلى تحديد علاقة هذا اللون المعجمي بشتى الأنماط المعجمية الأخرى؛ كعلاقته بمعجمي الألفاظ والمعاني من جهة، وبيان الفرق بينه وبين القاموس والموسوعة من جهة أخرى، وضبط نوعه من حيث العموم والخصوص.

الكلمات المفتاحية: المعجم المصوّر؛ صناعة المعاجم؛ الخصائص؛ المبادئ.

Abstract:

This research aims to introduce the Illustrated dictionary, and determine its place in the modern lexicography, with clarification its features, and set the controls of its construction,, from the definition of this modern lexicon, and showing its beginnings, with the separation from the lexicon, which employs images to explain his entries, then we show some of his models, and then we address the most important functions performed by this dictionary, Finally, we conclude by defining the relationship of this lexicon to various other lexicographic patterns; as it is related to lexicons of words and meanings on the one hand, and the difference between it and the dictionary and encyclopedia on the other hand, with adjust its type in general and specialization.

Keywords: Illustrated dictionary; lexicography; Characteristics, principles.

مقدمة:

إنّ التطورات العلمية التي نعيشها اليوم، تفرض علينا الاستفادة من الاكتشافات العلمية الحديثة في تحسين المنظومة التربوية، بجعل التلاميذ قادرين على اكتساب مفاتيح العلوم، لمواكبة ركب

الحضارة العالمية المتسارع، ولاسيما في إدراك معاني الكلمات، ومدلولات الألفاظ الحضارية، ومفاهيم المصطلحات العلمية المتزايدة؛ بغية تكوين صورة واضحة المعالم عما يحيط بالمتعلم من أشياء، وفي هذا السياق يأتي المعجم المصور ليفيد قارئه- ولاسيما في المراحل المبكرة من التعليم- بالرصيد اللغوي الوظيفي المعبر عن الكلمات المحسوسة، والتي يعايشها يوميا في محيطه، داخل البيت وخارجه.

وفي هذا السياق يندرج هذا البحث؛ والذي نروم من خلاله تعريف المختصين بهذا اللون المعجمي الحديث؛ بغية تكوين أرضية معرفية عنه، لعلها تسهم لاحقا في استثماره في تنمية مجالات المعرفة لدى المتعلمين، أو في استغلاله في ترقية الجوانب التعليمية والتربوية.

1- تعريف المعجم المصور:

يطلق عليه مصطلح (dictionnaire illustré/picture dictionary)، وهو "معجم يضع الصورة مقابل المدخل دون شرح"[1]، فهو مكون أساسا من مجموعة صور؛ تمثل مداخله الأشياء القابلة للتصوير فقط، ويختلف هذا النوع من المعاجم عن تلك المعاجم التي تستعين بالصورة في الشرح.

2- نشأته:

يعود الفضل في ابتكار هذا النوع من المعاجم إلى اللغوي الألماني دودن (Duden)؛ وذلك حينما نشر"المعجم الألماني المصور الكبير لأوّل مرة سنة 1938م"[2]، إذ تضمن معجمه مجموعة لوحات موضوعية مستقلة تمثل كلّ منها حقلا معيّنا، فجسم الإنسان له لوحة، وللنبات لوحة، وللأثاث لوحة، وهكذا... وكان قد وضع أرقاما على أجزاء الرسم، وفي الصفحة المقابلة وضع الألفاظ بإزاء تلك الأرقام، ثمّ رتّب جميع الألفاظ في نهاية المعجم ترتيبا ألفبائيّا دون شرح، مع تخصيص كلّ لفظ برقمه في اللوحة التي ورد فيها[3]، ولقي معجم دودن شهرة واسعة، وترجم إلى عدّة لغات أوروبية، كما حذت حذوه مؤسسة أكسفورد ولاروس من خلال إصدار عدة معاجم مصورة، وهكذا بدأت دور النشر تسعى لصناعة معاجم مصوّرة، سواء كانت أحادية اللغة أو متعددتها.

3- المعجم المصوّر والمعجم المستعين بالصور:

ينبغي التنبيه إلى وجود نوعين من المعاجم تستخدم الصوّرة:

أ- معاجم تقوم أساسا على الصورة، فمداخلها صور وضعت في مقابلها ألفاظ.

ب- معاجم تستفيد من الصور في شرح الكلمات؛ فالصورة في هذا النموذج بمثابة شواهد توضيحية تساعد على تقريب المدلول، مع العلم أنّ استخدام الصور على هذا النحو لا يجعل المعجم مصورا.

ويكمن التفريق بين المعجم المصور والمعجم المستعين بالصور انطلاقا من العناصر التي تظهر في هذا الجدول:

المعجم المصوّر	معجم يستعين بالصور

- مداخله صور. - خاص بالموجودات الحسية فقط. - صوره تقليدية أو حديثة. - يجزئ الصورة إلى عناصرها الأساسية، مع مقابلة كل جزء بلفظ.	- مداخله ألفاظ. - يشمل كل ألفاظ اللغة الحسية والمجردة. - يعتمد على الصور والرسوم التوضيحية - يستعين بالصورة في إيضاح المعنى، وتقريب المفهوم للكلمة الغامضة.

فكل نوع يختلف عن الآخر، سواء من حيث المدخل، أو نمط الصورة المستخدمة.

4- نماذجه:

يعدّ معجم دودن الألماني أوّل معجم مصوّر، وهو "يتألف من 384 لوحة تضمّ 28000 مسمّى مرتبة موضوعيّا في لوحات، تشمل المواضيع مختلف نطاقات المعرفة من الذرة والأرض والفلك إلى الإنسان والبيئة والحيوانات بأنواعها، والمهن والخدمات العامة، ووسائل النقل والزراعة والصناعة والمعدات الكهربائية، والمطابع والمختبرات وكلّ ما يخطر لك ببال"[4]، ونقل هذا المعجم إلى الإنجليزية تحت عنوان(the oxford-duden pictorial dictionary)، وظهر في عدّة أشكال سواء كانت أحادية اللغة (إنجليزية) أو ثنائية اللغة(الإنجليزية ولغات أخرى)، على غرار (/EnglishArabic)(the oxford picture dictionary)؛ الذي ضمت طبعته الثانية الصادرة سنة2009 اثنا عشر حقلا معرفيا احتوى أربعة آلاف كلمة موزعة كما يلي: لغة التحدث اليومية، الناس، السكن، الطعام، الملابس، الصحة، المجتمع، النقل والمواصلات، العمل، مجالات الدراسة، نباتات وحيوانات، الاستجمام، وكل مجال يتفرع إلى عدة فروع؛ فحقل الطعام مثلا ينقسم إلى أربعة عشر(14) فرعا، منها: الفواكه، الخضروات، اللحوم والدواجن، الحلويات، أدوات المطبخ، المطاعم، وغيرها، وللتوضيح أكثر نورد حقل الفواكه في اللوحة الموالية[5].

أما في الوطن العربي، فإنّ المعجم المصور لم يصل إلى نفس مرتبة المعجم الأوروبي؛ فما هو متداول منه عبارة عن موسوعات ومعاجم لغوية مصورة، مثل: موسوعة المعارف المصورة لـ:ألبير مطلق، والموسوعة العلمية المصورة لـ: محمد سعيد الغزلاني.

ومن المعاجم التي توظف الصورة في شرح مداخلها نجد القاموس المدرسي لعلي بن هادية وآخرين، الذي احتوى في طبعته السابعة سنة1991 على 9611كلمة و471صورة، ومعجم المجاني المصور لجوزيف إلياس الذي اشتمل في طبعته الرابعة عام2004على 8500 مادة، و920 صورة، و500رسم، و16 لوحة علمية ملونة، أما المتقن- المعجم العربي المصور لجمال أبو نصري وآخرين، بطبعته الصادرة 2011 تضمن 13845كلمة، و950رسما وصورة، و158لوحة، ولكن معظم هذه المصنفات لا تعدّ معاجم مصورة- وإن استعانت باللوحات الملونة الممثلة للأشياء- لأنّها تهدف إلى التعريف بالألفاظ باستخدام الصور، في حين المعجم المصور يختلف عن هذه الأنواع مادة ومنهجا.

وإذا كان الغرب قد تمكنوا من وضع معجم مصور إلكتروني خماسي اللغة (إنجليزي-فرنسي-ألماني- إيطالي- إسباني) يستطيع الباحث بواسطته أن يطلع على أية كلمة بصورتها في خمسة عشر حقلا بمجرد نقرة بسيطة على الحاسوب، فإنّ المعجم العربي الحديث- ممثلا في لاروس الذي استعار صوره من لاروس الفرنسي- غير قادر على مواكبة المعاجم الأوربية الحديثة.

5- خصائصه:

يناسب المعجم المصور السنّ المقدرة لمستعمله، ومن الممكن وضع سلّم متدرّج لأعمار مستعملي هذا النوع من المعاجم مناسبة لمرحلة عمرية أو دراسية؛ لأن هذا النوع هو أحد المعجات "ذات الأهداف اللغوية المحدودة"[6]، لاقتصاره على المستويات الأولى من حياة الطفل، كمعاجم ما قبل سنّ المدرسة التي تخص المبتدئين في اكتساب اللغة، التي تسمّى معجمات على سبيل التجوّز، ومعاجم الصغار(المرحلة الابتدائية) من مواصفاتها مناسبة المعلومات لاحتياجات الطفل العمرية، مع التبسيط الشديد للتعريفات، ومراعاة تقدم الصغير اللغوي المقترن بتطوير اكتسابه لمعاني الكلمات.

ويتميز المعجم المصور بأنه:

- **واسع الاستعمال**: لكون مداخله صور، فهو في متناول المبتدئ والمتعلم، مادامت الصورة نظاما سيميائيا موحّدا يستعمله كل البشر.

- **واضح الترتيب**: لاشتماله على اللوحات الممثلة لحقول الحياة، والتي يتجلى محتواها في تجسيدها الواقع الذي يعيشه المتعلم، بخلاف المعجم العام الذي يتسم بالتجريد.

- **سهولة البحث**: فأنت لا تحتاج فيه إلى رد الكلمات إلى أصولها الاشتقاقية، بل تبحث عنها كما هي، خلافا للمعاجم العادية التي تخضع لأنماط معقدة من الترتيب، يصعب إيجاد المقصود فيها، لاسيما عندما يكون الباحث تلميذا مبتدئا.

6- وظائفه:

تهدف المعاجم المصورة إلى تحقيق الوظائف التالية:

- التعرف على مدلول اللفظ من خلال صورته؛ مما يغني عن القراءات الطويلة التي قد يظلّ بعدها المعنى غامضا.

- إثراء الرصيد اللغوي للمتعلم؛ فهو يسمح بإيجاد المسميات المناسبة لأجزاء اللوحة بمجرد فتح المعجم على الصورة ورؤية تفاصيلها[7].

- يسمح بتعلم استخدام المعجم، من خلال إيجاد الكلمة المناسبة في الصفحة المناسبة.

- يساعد المتعلم الذي لا يعرف شيئا ويودّ معرفة تسميته، من ذلك تسمية نبات أو حيوان أو جهاز ما، فهو بذلك يعين المبتدئين على اكتساب اللغة.

- يمكن التلميذ من الإلمام بعناصر الصورة، مع ربط كلّ عنصر بمفهومه ولفظه، ومن ذلك مثلا: تسمية أجزاء السيارة، أو الدراجة، أو الحاسوب.
- يساعد على "تحصيل معلومات موضوعية بالمشاهدة الحاضرة عرضا وشرحا وتطبيقا واقعيا، يكسب المتعلمين معرفة حسية لما لم يسبق أن شاهدوه أو اكتسبوه.
- تأكيد حقائق تمّ تعلمها نظريّا"[8].

ومما سبق يمكن القول أنّ المعجم المصور يسمح بتحقيق غاية تعليمية، نتيجة سهولة استعماله، وقدرته الفائقة على إثارة انتباه القارئ من خلال مداخله الملونة.

7- المعجم المصور وثنائية اللفظ والمعنى:

يمكن اعتبار المعجم المصوّر "كمعجم معان يجمع مسميات الموضوع الذي تطلبه في لوحة أو أكثر، كما يخدم كمعجم عاديّ ألفبائيّ من خلال الفهرس"[9]، ولذا يعدّه حسن ظاظا معجما "لغويا أبجديا وموضوعيّا تجانسيا في آن واحد"[10]، ولكن ثمة عدة فروق بين هذا القاموس والنمطين السابقين، نسجلها في هذه العناصر:

	المعجم المصور	معجم الألفاظ	معجم المعاني
مجاله	الصورة => اللفظ	اللفظ=> المعنى	المعنى=> اللفظ
تاريخه	حديث(1938م)	قديم(الخليلهـ175)	قديم (الرسائل اللغوية)
مادته	صور وألفاظ	ألفاظ ومعان	معان وألفاظ
مداخله	المحسوسات	ألفاظ اللغة	معاني اللغة
الترتيب	موضوعي ألفبائي	هجائي بأنواعه	موضوعي

ومما سبق، يتضح أنّ المعجم المصوّر يختلف عن هذين النوعين من المعاجم، سواء في المداخل أو الغاية، أو النشأة، ولكنه في الوقت نفسه استفاد من معاجم المعاني من خلال ترتيب الصور في حقول دلالية مستقلة، كما اعتمد على معجم الألفاظ في طريقة الترتيب حتّى يسهل إيجاد الكلمة في الصفحة واللوحة المناسبة، بالإضافة إلى توظيفه للصورة لتسهيل التعريف بالأشياء، فهو معجم حديث دعت إلى ظهوره التطورات العلمية الحديثة، وما رافقها من اكتشافات وابتكارات جديدة، إذ كان لابدّ من توظيف الصورة لتقريب المفهوم، وإيضاح المدلول، وتلك هي الغاية التي يصبو إليها كلّ معجم.

8- المعجم المصور بين القاموس والموسوعة:

لمّا كان المعجم المصور يشتمل على الصور التي تمثل الأشياء، فهو أقرب إلى الموسوعة من جهة، وكذلك عند اشتماله على قائمة الكلمات فهو شبيه بالقاموس من جهة أخرى، ولذا أمكن القول أنّ هذا

النوع من المعاجم قاموس موسوعيّ، وإن كان الجانب الموسوعي فيه محددا؛ لاقتصاره على ما هو قابل للتصوير فقط.

9- المعجم المصور بين العموم والخصوص:

يميّز المعجميون بين الأشكال المعجمية في ثنائيات تقابلية منها: المعجم اللغوي مقابل المعجم الموسوعي، المعجم التاريخي مقابل المعجم الوصفي، المعجم العام مقابل المعجم المتخصص[11]، وانطلاقا من هذه التقابلات يمكن تعيين مكانة المعجم المصوّر بأنه:

- **موسوعي**: لأنّه يشتمل على صور الألفاظ الحسيّة التي تمثل الواقع.

- **وصفي**: لأنّه يصف الأشياء كما هي في الواقع، ويتجلّى ذلك في استخدامه للصورة التي تعدّ خير دليل على نقل الواقع، لاسيما إن كانت فوتوغرافية.

- **عامّ**: ويتبيّن ذلك من خلال رصد كلّ المحسوسات في شتى المجالات، فهو لا يقتصر على حقل بعينه، بل يحتوي على اللوحات التي تصوّر البيت والشارع والبيئة والحيوان.

ولكن يمكن أن يكون المعجم المصور متخصصا حين يقتصر على إيراد صور حقل محدد كحقل الحيوان أو النبات، فهو حينها معجم مصوّر متخصص.

كما تنقسم المعاجم باعتبار نوعية مداخلها إلى المعاجم العامة؛ التي يعرفها أحمد مختار عمر بأنّها المعاجم التي تهتمّ "بتغطية مفردات اللغة العامة المشتركة، أو اللغة الوطنية المعيارية على مستوى الاستعمال، مع تغطية كبيرة للمفردات التخصصية الشائعة"[12]؛ فيما يرى علي القاسمي أن المعجم العام "هو ذلك المعجم الذي يحاول تغطية أكبر عدد ممكن من مفردات اللغة"[13]، في حين نجد المعاجم الخاصة "تهتمّ برصيد مفرداتي في مجال من المجالات العلمية الخاصة"[14]؛ ومن ذلك مثلا: معاجم مصطلحات العلوم والفنون.

ومما سلف ذكره، يمكن القول أنّ مداخل المعجم العام هي الألفاظ المتداولة بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، أما مداخل المعجم الخاص هي المصطلحات التي تمثل ميدانا مضبوطا من ميادين المعرفة.

وعليه فالمعجم المصوّر يمكن أن يكون عامّا حينما يتضمن كلّ الأشياء القابلة للتصوير؛ وخير ما يمثلها هو معجم دودن المصوّر الذي ضمّ 380 لوحة توزعت على مختلف حقول الحياة، كما يمكن أن يكون خاصّا، إذا اقتصر على قائمة محدودة من الأشياء المتعلقة بمجال معيّن؛ ومن ذلك مثلا (ميدان الطيور أو النبات، أو السيارة وغيرها، فيصبح الناتج معجما مصوّرا خاصا مختصا، فالمعجم المصوّر إذا اشتمل على كلّ صور الموجودات كان عامّا، وإن انتقى طائفة من الصور المنتمية لميدان معرفي معيّن، فهو حينئذ معجما مصورا خاصّا.

خاتمة:

يتضح مما سلف أنّ المعجم المصور لون معجمي جديد دعت إلى ظهوره الابتكارات العلمية الجديدة؛ فهو قاموس يرصد عشرات الحقول الدلالية الحسية القابلة للتصوير، مع رصف مفرداتها، وفي ذلك إثراء للرصيد اللغوي للمتكلم؛ من خلال ربط الصورة بلفظها؛ مما يسمح بترسيخ مدلولها انطلاقا من التعريف الإشاري، ولاسيما في السنوات المبكرة لدى الأطفال والمتمدرسين، ولهذا وجب الاهتمام بهذا المعجم، وتوسيع استغلاله لدى القراء؛ لتنمية الحصيلة اللغوية، ومواكبة التطور الحضاري المتسارع.

الهوامش:

1- محمد علي الخولي، معجم علم اللغة التطبيقي (إنكليزي- عربي) ، مكتبة لبنان، بيروت، ط:1، 1986م، ص: 93.

2- حسن ظاظا، كلام العرب- من قضايا اللغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط:2، 1410هـ- 1990م، ص: 125.

3- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- أحمد شفيق الخطيب، من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، في المعجمية العربية المعاصرة، وقائع ندوة مائوية: أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ورينحارت دوزيه، جمعية المعجمية العربية بتونس، تونس في 15 و16 و17 أفريل 1986م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:1، 1407هـ- 1987م، ص: 623.

5 -voir : jayme adelson -goldstein et norma Shapiro, oxford picture dictionary –english/arabic, , oxford university press, second edition, 2009,p :68.

6- محمود فهمي حجازي، المعجمات العربية وموقعها بين معجمات اللغات العالمية المعاصرة، ندوة تاج العروس، الكويت في 9 و10فبراير2002م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2009م، ص: 301.

7- ينظر: حسن ظاظا، كلام العرب، ص: 125- 126.

8- ابن حويلي الأخضر ميدني، المعجمية العربية في ضوء مناهج البحث اللساني والنظريات التربوية الحديثة، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص: 234.

9- أحمد شفيق الخطيب، من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، ص: 623.

10- حسن ظاظا، كلام العرب- من قضايا اللغة العربية، ص: 125.

11- ينظر: علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعاجم، جامعة الملك سعود، السعودية، ط:2، 1411هـ- 1991م، ص:41- 46.

12- أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط:1، 1418هـ-1998م، ص: 46.

13- علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعاجم، ص: 39.

14- حلام الجيلالي، المعاجمية العربية، قراءة في التأسيس النظري، ديوان المطبوعات الجزائرية، وهران، ط:1، 1418هـ- 1997م، ص: 16.